حوار مع الدكتورة أميرة حلمي مطر

حول قضايا الفن والجمال

● الحوار بين الحضارات مبدأ يتبعه الغرب .. فلماذا نتقوقع؟

● المطلوب حرّية التعبير للفنان بعيداً عن التزمت والقيود

دعت جامعة قطر فى الشهر الماضى الدكتورة أميرة حلمى مطر رئيسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة .. وقد أجرت مجلة الدوحة معها هذا الحوار (أجرى الحوار : حسن طلب)

تزور قطر هذه الأيام ، الدكتورة أميرة حلمى مطر ، رئيسة قسم الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة ، حيث تستضيفها كلية الانسانيات بالجامعة القطرية .

وللدكتورة أميرة مطر ، جهد وافر ، وبحوث فلسفية جادة ، اسهمت بها فى اثراء المكتبة العربية على مدى عشرين عاماً تقريباً ، وشاركت فى إذكاء الوعى الفلسفى لدى القارىء العربى الجاد ، الذى يتطلع الى مثل هذه البحوث الفلسفية المتخصصة .

وقد صدرت الدكتورة أميرة مطر فى كتاباتها ، عن روح موضوعية قدمت من خلالها أهم التيارات القديمة والمعاصرة فى مجرى الفكر الأوربى ، خاصة فى مجال علم الجمال وفلسفة الحضارة . وذلك إدراكاً منها للمهمة الحضارية الكبرى التى تقع على كاهل المشتغلين بالفكر والثقافة فى الوطن العربى

ولم يكن دور الدكتورة أميرة مطر ، مقصوراً على مجرد العرض والتعريف والتقديم ـ وهو فى حد ذاته دور هام ومهمة جليلة ـ بل لقد كان شاغلها فى معظم كتاباتها أن تنقد وتحلل وتقوم ، بعد أن تعرض وتقدم وتشرح ، تشهد على ذلك كتاباتها المتنوعة فى الفلسفة القديمة وفلسفة السياسة والحضارة وعلم الجمال .

ومن الدراسات التى قدمتها أميرة مطر فى مجال فلسفة الفن وعلم الجمال : فلسفة الجمال (١٩٦٢) فى فلسفة الجمال من أفلاطون الى سارتر (١٩٧٤)ـ مقدمة فى علم الجمال (١٩٧٦) ـ كما اشتمل كتابها الأخير : دراسات يونانية (١٩٨٠) ، على فصل طويل فى علم الجمال عند الاغريق ، هذا عدا المقالات الأخرى العديدة حول الفن والجمال والتى نشرت فى دوريات مصرية مثل «الطليعة» ـ «الفكر المعاصر» ـ «الفنون» ..الخ ، والتى جمع بعضها فى كتاب «مقالات فلسفية حول القيم والحضارة ١٩٧٩» . كما كانت الدكتورة أميرة قد ترجمت من قبل ، كتاب الاستطيقا (علم الجمال) للكاتب الفرنسى دينس هويسمان .

ولا شك أن هذا الانتاج الغزير فى مجال بكر هو مجال الدراسات الجمالية ، يعبر عن إيمان أميرة مطر بمدى خطورة واهمية ذلك الفرع من الدراسات الفلسفية ، وهى التى دأبت على نشر الوعى بالفن والجمال ، ليس فقط لدى طلابها فى كلية الآداب وكلية الفنون التطبيقية ومعهد التذوق الفنى ، بل أيضاً لدى القراء والمثقفين بصفة عامة .

وفى لقائنا مع الدكتورة أميرة مطر دار الحديث بيننا حول تلك الاهتمامات التى تشغلها على الدوام ، وتشغل بال الثقافة والمثقفين هذه الأيام .

قلت لها :

● تعانى حياتنا الثقافية الآن ، من البلبلة والاختلاط اللذين يشوبان مفهوم الفن ، فهل يمكن أن نبدأ بتحديد هذا المفهوم ، بحيث نستطيع أن نتعرف أولا على ماهية الفن وطبيعته ؟

قالت :

ـ الفن فى حقيقته ليس محاكاة للواقع ، كما درج الكثيرون على وصفه بذلك ، فالفن الحقيقى ترجمة للواقع وليس محاكاة له ، ولا شك أن الصورة المحاكية للواقع المباشر لم تعد لها اليوم قيمة الصورة الموحية ، والحق أن فهم الفن على أنه محاكاة للواقع ، قد جنى على فنوننا وجنى على مبدعينا ومتذوقينا ، فاصبحنا لا نالف إلا الشعر المباشر والفن المباشر الذى ينقل الينا تفاصيل الواقع مباشرة ويحاكى دقائقه . بمعنى أصح ، نقول ، إن محاكاة الفن للواقع ، وما يتبع ذلك من قيم المباشرة والسهولة ، افسدت ذوقنا الجمالى وجنت على حاستنا الفنية .

● ولكن ما هو المقصود بالضبط من القول بأن الفن ترجمة للواقع وليس محاكاة له

الفن (لغة أخرى)

ـ أقول : إن الفن ليس محاكاة ، وإنما هو ترجمة الواقع بواسطة الكلمات والألوان والأصوات ، ترجمة موحية ، عندئذ يصبح الفن غذاء لروح الانسان ، هذا هو الفن فى أوج عصوره ، خذ مثلا : دانتى ، وشكسبير ، وجوته ، أو بيتهوفن ، وموزار ، وديبوس ، أو ماتيس ، وبيكاسو ودالى . ومن حضارتنا العربية خذ شعر العذريين والمتنبى وأبى العلاء ، كل أولئك الفنانين الكبار تركوا فناً خالداً قادراً على أن يغذينا باستمرار ، ومهما تقادم عليه العهد ، لسبب بسيط ، هو انهم كانوا يترجمون الواقع فى فنونهم الى لغة أخرى ، ويعبرون عنه بأبجدية جديدة ، ولم يكونوا ليقتصروا على مجرد محاكاته كما هو ، وبنفس لغته ومفرداته وإلا ما استطاعت أعمالهم أن تصمد أمام

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزمن وتستشرف الخلود وتاسر نفوسنا . نعم إن الفن ترجمة للواقع ، وبغير هذا لا نستطيع أن نفهم الفن المعاصر حولنا .

إضافة وابتكار

● فاذا ما انتقلنا من الفن الى الفنان وسألنا : على أية صورة يمكن للفنان أن يترجم الواقع حتى يصير فنانا بحق ؟

ـ الفنان الحق هو الفنان المجدد ، هو ذلك الذى يعرف كيف يستخدم لغة جديدة ورموزاً أكثر جدة ، تكون أصدق فى ترجمتها للواقع عما عداها واكثر مواءمة لمقتضيات اللحظة الحضارية . الجديد هوباستمرار اضافة الى الواقع ، والفن إضافة وابتكار وإن لم يكن اضافة فهو مجرد تزيد ، ولن يشتمل حينئذ إلا على مجرد الأفكار والمضامين .

● جئنا الى مشكلة الشكل والمضمون يبدو أن مثل هذا الكلام يقف الى جانب الشكل ، فهل هذا صحيح ؟ وإذا كان كذلك فما هى الحيثيات ؟

ـ يقال بالفعل ان هذا الكلام يتجه بنا الى سيادة الشكل على المضمون ، ولكن فى ذلك مفارقة ، فالشكل والمضمون ليسا على هذا النحو من التقابل ، وإلا ، فهل يمكن أن يكون هناك شكل فارغ ؟

حقاً ، إن الشكل يجر وراءه دائماً مضموناً غير مباشر ، وذلك فى الفن الحقيقى والأصيل ، أما المضمون المباشر فليس إلا مجرد تسطيح وتبسيط مخل ومبتذل . بعكس المضمون الذى يتكشف من خلال شكل ما ، فهو قطعاً الذى يؤثر على شعور الانسان ، والفن يخاطب الشعور والوجدان قبل أن يخاطب العقل وإلا تحول الى علم من العلوم .

الشكل لا يخلو قطعاً من المضمون ، فقط اترك الشكل يتحكم وعندئذ سترى انه مرتبط كل الارتباط بمضمون ما ، خذ الفن التجريدى مثلا .. وستجد انه لا يخلو قط من المضمون ، لأن هناك تكثيفاً وليس تعميماً ، تلخيصاً وليس عرضاً ، وهذه مقولة بديهية فى فلسفة الفن الحديث والمعاصر .

الفوضى الشكلانية

قلت :

● ولكن لابد لنا من وقفة صغيرة هنا حتى لا تختلط الأمور ، فالنظر الى العمل الفنى باعتباره شكلا فى الأساس ، كثيراً ما يكون مدعاة للاتهام بالشكلانية ومظنة للانصياع لتعاليم القائلين «بالفن من أجل الفن»

ـ هذه اتهامات وادعاءات ينبغى الا نلقى بالا اليها ، فلا تصدق ان هناك شكلا دون محتوى أو دون مضمون .. فليس هناك شكل خالص اللهم إلا فى مجال المنطق فحسب .

● ولكن الشكل فى المنطق موضوع آخر . إنه علاقات صورية مجردة بطبيعتها من أجل تنظيم الأفكار ، وقيمتها فى هذا التجريد ، فهو الذى يمكنها من اداء وظيفتها على النحو المراد لها ، أما الشكل فى العمل الفنى ، فهو أمر آخر ، إنه نسيج العمل الفنى ذاته ، أى انه هنا ينحو نحو التجسيد لا التجريد .

ـ ولهذا السبب عينه فهو لايمكن ان يكون بدون مضمون ، انت قلت منذ لحظة انه تجسيد .. فماذا عساه يجسد ؟ طبعاً يجسد المضامين ولكن من خلال بناء فنى معين ، وبواسطة صورة حية موحية .

● هذا حقيقى ، فانا أيضاً أومن أشد الايمان بقيمة الشكل والتشكيل ، وما كنت إلا مستفسراً عن بعض الملابسات العالقة بالمصطلح .. وإنى أود الآن أن أسال عن قضية أخرى طال النقاش حولها خلال العقود الماضية ، أقصد قضية الأصالة والمعاصرة وما أريد أن أسال عنه هنا ، هو ما يتعلق بالفن والجمال من هذه القضية

ـ بالطبع هناك الكثير من القيم الجمالية يمكن استلهامها والانطلاق منها الى آفاق إبداعية أرحب ، خذ مثلا الزخرفة العربية ، الموسيقى العربية ، كل هذه قيم جمالية موجودة فى تراثنا ، ولا تزال تؤثر على ذوقنا وتستقر فى وجداننا ، وهى التى تميزنا فى نفس الوقت ، لأنها مستمدة من بيئتنا ، ويمكن أن نستوحى قيمها الشكلية ونطوعها للمضامين الجديدة .

شعر التفعيلة

● الا يعنى ذلك أن الشكل ليس سوى قالب جامد نصب فيه هذا المضمون

ـ أنا لا أومن بفصل الشكل عن المضمون ، فالشكل ليس قالباً هندسياً ، وأنا لا أوافق الدكتور زكى نجيب محمود على نظرته الى الشكل بهذا الفهم ، وما قلته عن الشعر الحديث أمر يحدث فى كل الحضارات والفنون التى تتطور قيمها الشكليةباستمرار ، خذ مثلا الحضارة الأوروبية ، وكيف خرجت موسيقاها عن السلم الموسيقى الى الموسيقى اللامقامية لتعبر عن الزحام والضجيج وصخب الآلات الكاتبة ، .. الخ ، كما خرج التصوير عن قواعد المنظور .. كل هذا تطور فى الأشكال ، حدث من أجل تطويع الأشكال القديمة للمضامين الجديدة والواقع الجديد ، وهو تطويع لن يحدث كما قلت إلا بالتطوير ، بابتكار أشكال جديدة فى النهاية .

● بمناسبة الحديث عن الحضارة الغربية ، هل يمكن أن نستفيد من القيم الجمالية الغربية ، والى أى مدى ؟

ـ ينبغى الا ندعو الى التقوقع حول الذات ، بل يجب أن ننفتح على الحضارات الأخرى ، ولا نكف عن الحوار معها ، فالحوار بين الحضارات مبدأ تتبعه الحضارة الغربية نفسها . ولا يعنى ذلك التخلى عن ثراء تراثنا ، وغنى فنوننا .

سؤال أخير :

● هل ترين أن هناك شروطاً مفتقدة وراء انخفاض مستوى الوعى الفنى والجمال العربى ؟

ـ المهم أن يكون هناك قدر واف من حرية التعبير ، يتيح خلق أشكال فنية جديدة بعيداً عن التزمت والحجر المفروض على الفن والفنانين المبدعين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com